الفصل الأول
تاريخ السحر

تمهيد

ذهب الذين أرّخوا للسحر إلى أنَّ السحر بعيد الغور في تاريخ البشرية، واستدلُّوا على ذلك بما خلفه الإنسان من كتابات ورموز وتصاوير وأساطير، وُجِدت في الخرائب والقبور، وهذا القول صحيح، وليس اعتمادنا على ما استدلوا به فحسب، فإنَّ أدلتهم يدخلها الشكُّ، ذلك أنَّ التاريخ الإنساني البعيد لم يدونه الإنسان، وهو الذي نسميه مرحلة ما قبل التاريخ.

والتاريخ المدَّون وهو الذي يعود إلى خمسة آلاف عام بداياته الأولى غامضة، وعلمنا عنها قليل، ولذا فإننا لا نستطيع الجزم بمثل ما جزموا به اعتمادا على الأساطير والرموز والتصاوير التي وعاها البشر أو عرفوها.

والعمدة في صدق هذا القول قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[1].

فالنصُّ القرآني بعمومه يدلُّ على أنَّ جميع الأمم واجهت رسلها بهذه المقالة الظالمة، وهي اتهامهم بالسحر أو الجنون، وهذا يعني أنَّ جميع الأمم عرفت السحر.

---

(١) سورة الذاريات: ١٠/٢٢٣.

وأول الرسل هو نوح عليه السلام، ولاشكَّ أنَّ قومه واجهوه بهذه المقالة استدلالا بالنص الكريم.

يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: «كان السحر موجودا في زمن نوح، إذ أخبرنا الله عن قوم نوح أنَّهم زعموا أنَّه ساحر، وقصة هاروت وماروت كانت من قبل نوح على ما ذكره ابن إسحاق وغيره»[1].

وابن حجر إن كان يعني أنَّ هناك نصّا قرآنيا صريحا في أنَّ قوم نوح اتهموه بكونه ساحراً فإنَّ هذا القول غير صحيح، إذ لم يرد نصٌّ في القرآن يصرح بهذا، وإن كان يريد الاستدلال بالنصّ العام الذي استدللنا به، فهذا حق وصواب.

وأمّا ما حكاه عن ابن إسحاق من أنَّ قصة هاروت وماروت كانت قبل نوح فهذا محتمل، ولم نجد دليلا من الكتاب والسنة يمكن أن يستدلَّ به على تحديد الزمان الذي وقعت فيه تلك القصة.

ولا أتفق مع الذين ذهبوا إلى أنَّ السحر ـ في التاريخ الإنساني ـ سابق على جميع الأديان والمعتقدات، ذلك أنَّ السحر انحراف عن النهج السويِّ، وقد أعلمنا الحق ـ تبارك وتعالى ـ أنَّ الإنسان الأول كان موحدا مستقيما، يعبد الواحد الأحد، وحسبنا أن نعلم أنَّ أول إنسان خلقه الله ـ وهو آدم عليه السلام ـ كان نبيًّا عالما بالله تبارك وتعالى، ولا يجوز أن نلتفت بعد هذا البيان الإلهي إلى ما سطَّره المؤرخون وعلماء الاجتماع عن جهل الإنسان الأول وضلاله، فالله أخبرنا بالحق، وليس بعد الحق إلا الضلال.

---

(١) فتح الباري: ١٠/٢٢٣.

المبحث الأول
سحر أهل بابل

من الأمم القديمة التي مارست السحر وضلّت به أهل (بابل). قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾[1].

وبابل التي يشير إليها النصُّ الكريم كانت مدينة بالعراق على ضفتي الفرات، ولا تزال آثارها قائمة إلى اليوم، وكانت أعظم مدائن العالم في وقتها، وكانت واسعة الأرجاء، كثيرة العلوم والفنون، ومن هذه العلوم والفنون علم السحر والفلك، وقد وصفها (هيرودتس) شيخ المؤرخين في عصره وصفا بديعا، يدلُّ على عظمها ورقيها، وكان أهل بابل هم الكلدانيين من النبط والسريانيين[2].

وقد اشتهر انتشار السحر عند أهل بابل واستفاض العلم به مع نص القرآن عليه، يقول ابن خلدون: «وأما وجود السحر في أهل بابل، وهم الكلدانيون من النبط، والسُّرْيانيون فكثير، ونطق به القرآن، وجاءت به الأخبار، وكان للسحر في بابل ومصر أزمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة»[3].

وتحدث صاحب دائرة معارف القرن العشرين عن نبوغ أهل بابل في السحر فقال: «يعتبر أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسُّرْيانيون أنبغ الأمم

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.
(٢) أطال الحديث عنها ياقوت في معجم البدان: ١/٣٠٩.
(٣) المقدمة لابن خلدون: ص ٩٢٧.

في السحر والنجامة، فكانت صناعة مناجاة الأرواح واستخراجهم من الأجساد من الصنائع التي لها المقام الأول لديهم»[1].

ويذكر أبو بكر الرازي المعروف بالجصّاص: «أنَّ أهل بابل كانوا صابئين يعبدون الكواكب السبعة، ويسمونها آلهة، ويعتقدون أنَّ حوادث العالم كلها من أفعالها، وهم معطلة لا يعترفون بالصانع الواحد المبدع للكواكب وجميع أجرام العالم، وهم الذين بعث الله تعالى إليهم إبراهيم خليله صلوات الله عليه، فدعاهم إلى الله تعالى، وحاجّهم بالحجاج الذي بهرهم به، وأقام عليهم به الحجة من حيث لم يمكنهم دفعه، ثمَّ ألقوه في النار، فجعلها الله تعالى بردا وسلاما، ثمَّ أمره الله تعالى بالهجرة إلى الشام».

ويذكر الجصّاص أيضا: «أنَّ أهل بابل كانوا يعبدون أوثانا قد عملوها على أسماء الكواكب السبعة، وجعلوا لكل واحد منها هيكلا فيه صنمه، ويتقربون إليه بضروب من الأفعال على حسب اعتقاداتهم من موافقة ذلك للكوكب الذي يطلبون منه بزعمهم فعل خير أو شرّ، فمن أراد شيئا من الخير والصلاح بزعمه يتقرب إليه بما يوافق المشتري من الدخن والرقى والعقد والنفث عليها، ومن طلب شيئا من الشرّ والحرب والموت والبوار لغيره تقرب بزعمه إلى زحل. بما يوافقه من ذلك، ومن أراد البرق والحرق والطاعون تقرب بزعمه إلى المريخ بما يوافقه من ذلك من ذبح بعض الحيوانات».

ويذكر الجصّاص أيضا: «أنَّ جميع تلك الرقى بالنبطية تشتمل على تعظيم تلك الكواكب إلى ما يريدون من خير أو شرّ ومحبة وبغض، فيعطيهم ما شاؤوا من ذلك، فيزعمون أنهم عند ذلك يفعلون ما شاؤوا في غيرهم من غير مماسّة ولا ملامسة سوى ما قدموه من القربات للكوكب الذي طلبوا منه.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/٦٥.

ومن العامة من يزعم أنه يقلب الإنسان حمارا أو كلبا، ثمَّ إذا شاء أعاده، ويركب البيضة والمكنسة والخابية، ويطير في الهواء، فيمضي من العراق إلى الهند، وإلى ما شاء من البلدان، ثمَّ يرجع من ليلته.

وكانت عوامهم تعتقد ذلك، لأنهم كانوا يعبدون الكواكب، وكلُّ ما دعا إلى تعظيمها اعتقدوه، وكانت السحرة تحتال في خلال ذلك بحيل تموِّه بها على العامة إلى اعتقاد صحته بأن يزعم أنَّ ذلك لا ينفذ ولا ينتفع به أحد، ولا يبلغ ما يريد إلا من اعتقد صحة قولهم وتصديقهم فيما يقولون[1].

وكان لكهنة الكلدانيين وسحرتهم اعتقادات كفريَّة شركيَّة في تأثير الكواكب والنجوم على حياة البشر، وينسبون إليها أموراً كثيرة، منها أنَّ ظهور كوكب المشتري في الليالي القمرية يبشر النساء الحاملات بالمواليد الذكور، وظهور عطارد دليل على زيادة المعاملات التجارية وتحسين الأحوال الاقتصادية للبلاد وعلو كعب العلم والأدب والمشتغلين به، وظهور كوكب زحل يدلُّ على الخلافات العائلية، وتفشيِّ الإجرام بالطرق السريّة.

أما ظهور المريخ فمعناه عزل الملوك أو وفاتهم، وتفشيِّ المجاعات والأمراض أو اندلاع الحروب، وظهور الزهرة يدلُّ على رواج سوق الزواج خصوصا للعانسات.

وكان السحرة الكلدانيون يعوِّلون في أعمالهم السحريّة على حركات هذه الكواكب وأوقاتها وتقابلها وابتعادها وكلِّ ما يتصل بها، وذلك لاعتقادهم الراسخ بتأثيرها على حياة الآدميين[2].

---

(١) انظر هذه النقول في أحكام القرآن لأبي بكر الرازي: ١/٤٤ - ٤٥. وإذاشئت معرفة المزيد عن الصابئة فارجع إلى الملل والنحل للشهرستاني: ٢/٥، ٤٩.

(٢) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ١٣.

وكلُّ هذا من الكفر والضلال الذي أضل به شياطين الإنس والجن العباد.

وقد اكتشف الباحثون في آثار الأمم الغابرة كثيرا من الآثار التي خلفتها مدينة بابل «وتدلُّ الكتابات والنقوش التي خلفها البابليون والآشوريون، وكذلك اللوحات المكتوبة بخط المسمار على أنَّ فنون السحر كان لها النصيب الأكبر من هذه الكتابات والنقوش».

واستدلوا بتلك الآثار على أنَّ الخوف من الجن والشياطين كان الظاهرة الأساسية في ديانة البابليين والآشوريين، وأنَّ الحياة اليومية عند هذه الأقوام كانت متأثرة بالسحر.

وكانت مدينة (أور) القديمة ـ إحدى المراكز القديمة للثقافة السومرية ـ موطنا كبيرا لفنون السحر، وكانت المؤلفات السومرية القديمة تعجُّ بالموضوعات السحرية كالترانيم والرقى والتعاويذ.

وقد حفظ لنا (آشور بانيبال) ملك آشور من عام (٦٦٨ إلى ٦٢٦ قبل الميلاد) في مكتبته كثيرا من النصوص الدينية والسحرية، وقد جمع هذه النصوص من المعابد المختلفة التي كانت منتشرة في المدن القديمة، وكان أغلبها مكتوبا باللغة السومرية[1].

وقد قسَّم الباحثون في مؤلفات البابليين ونصوصهم السحرية تلك المؤلفات والنصوص إلى ثلاثة مجاميع رئيسة:

الأولى: النصوص التنجيمية، وفيها تذكر الكواكب على أنها آلهة تؤثر في حياة الناس وفي أفعالهم ومصائرهم.

---

(١) فنون السحر، لأحمد الشنتناوي ص ١٠.

الثانية: اللوحات الخاصة ببعض الوسائل المستعملة في الكهانة والتنبؤ بالغيب.

أما المجموعة الثالثة فهي الرقى والتعاويذ التي كانت تستخدم لدرء شرور السحر الأسود وطرح الأرواح الخبيثة التي تحلّ بالأبدان، فتسبب لأصحابها الأضرار والأمراض، إذ كان الاعتقاد أنَّ السبب في المرض يرجع بوجه عام إلى الشياطين والأرواح الخبيثة، ولإبراء الشخص من مرضه يجب طرد هذه الأرواح من البدن[1].

وقد كان أهل بابل يعتقدون أنَّ الأرواح الخبيثة مسؤولة عن الكوارث التي تحلُّ بالعالم من وقت لآخر كالزلازل والبراكين والعواصف والفيضانات المغرقة، ومن ثَمَّ كان من الضروري استخدام التعاويذ لمنع عبث هذه الأرواح بالنظام العام الذي يسير العالم على مقتضاه، وقد رتبت هذه التعاويذ في لوحات مختلفة لكلِّ نوع منها أثره الخاص في ناحية من هذه النواحي.

وكان الكلدانيون يستعملون دماء الطيور بعد ذبحها في أعمالهم السحرية، ولذا كانوا يُعْنون بأمرها، ويطعمونها طعاما خاصا ولا يأكلونها أبداً[2].

أرأيت كيف أوقع السحر هؤلاء الأقوام في الضلال الكبير والشرِّ المستطير.

ومن طريف ما يروى في السحر بدماء الطيور ما حدث عندما تقابل جيش ملكهم (فلامنيوس) مع جيوش القرطاجيين بزعامة القائد (هانيبال) أن أمر (فلامنيوس) هذا رئيس السحرة بذبح أحد الطيور، وعمل السحر اللازم الذي يضمن له هزيمة أعدائه.

---

(١) فنون السحر. لأحمد الشنتناوي ص ١٢.

(٢) فنون السحر: ص ١٣.

ولما عمد الساحر إلى الطائر المقصود، وقدَّم له الطعام قبل ذبحه ليجري عليه سحره أبى الطائر الطعام، فعدَّ الساحر هذا دليلا على هزيمة قائده، وعاد إليه يحذره من مغبة الهجوم في هذا اليوم على أعدائه، ولكنَّ القائد (فلامنيوس) قهقه من كلام الساحر، وسأله: وما العمل إذا رفض الطائر الطعام اليوم وغدا وبعد غد، ولمدة طويلة؟ فأجاب الساحر: إنه يجب على الملك الانتظار.

ولكنَّ القائد هزأ من نصيحة ساحره، وأمره بذبح الطائر فوراً، وعمل السحر حالا، فرفض الساحر، وكان جزاؤه القتل فورا.

وأمر (فلامنيوس) جيوشه بالهجوم على القرطاجيين، ودارت الموقعة حول بحيرة (تراسمين)، وقتل فيها (فلامنيوس) وخمسة عشر من رجاله[1].

أرأيت أسخف من هذه العقول التي تؤمن بأن الطيور تعلم الغيب وتبني أحكامها على مثل هذه الترهات والسخافات؟!!

ويذكر الجصَّاص أنَّ ضلالة عبادة الكواكب السبعة لم تكن وقفا على أهل بابل، بل كانت شائعة في إقليم العراق والشام ومصر والروم إلى أيام (بيوراسب) الذي تسميه العرب الضحاك، وأن (أفريدون) وكان من أهل (دنباوند) استجاش عليه بلاده، وكاتب سائر من يطيعه، وله قصص طويلة حتى أزال ملكه[2].

ويذكر ابن كثير أنَّ الذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا المذهب، وكانوا يستقبلون القطب الشمالي، ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الأفعال والمقال، وأنه كان على كلِّ باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ويعملون لها أعيادا وقرابين[3].

وكلُّ هذا من الضلال العظيم الذي ضلَّ به العباد.

---

(١) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ١٢.
(٢) أحكام القرآن للجصَّاص: ١/٤٤.
(٣) البداية والنهاية: ١/١٤٠.

المبحث الثاني

السحر عند أهل فارس

يذكر الجصاص أنَّ الفرس كانوا في بداية أمرهم على التوحيد، فلما استولى بعض ملوكهم على مدينة بابل أخذوا يتدينون بقتل السحرة، ولم يزل هذا دينهم حتى حدثت فيهم المجوسية[1].

ويذكر المؤرخون أنَّ رستم قائد الفرس الكبير كان حزّاءً ينظر في النجوم وقد اعتمد على النجوم في حكمه بظهور المسلمين وغلبتهم، وكان هذا أحد الأسباب التي دعته إلى تأخير ملاقاة المسلمين في معركة القادسية مدة طويلة نافت على أربعة أشهر[2].

ويذكر لنا المؤرخون أنَّ راية كسرى المسماه (زركش كاويان) كان منقوشا عليها بالذهب بمعرفة السحرة ووفقا لتعلياتهم الوفق المثيني العددي[3] في أوضاع فلكية خاصة، والغرض منها ضمان استمرار نصرة الفرس في جميع المواقع الحربية التي يشنونها على جيرانهم وأعدائهم.

---

(١) أحكام القرآن للجصّاص: ١/٤٤.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٧/٣٨.

(٣) الوفق المثيني العددي عبارة عن مربع مقسم إلى مائة خانة، يحوي كلُّ ضلع من أضلاعها عشرة خانات. ويزعمون أنه إذا أمكن كتابة الأعداد من (١) إلى (١٠٠) في هذا المربع بأي ترتيب كان بحيث يكون أعداد كل ضلع من العشرة أضلاع الأفقية والرأسية منه تساوي تماما مجموع الأعداد المكون منها قطراه، بحيث لا يتكرر أي عدد مرتين. ونقش ذلك في لوح من الذهب عند دخول الشمس في برج الحوت أو القوس فإنَّ حامل هذا اللوح يحقق معظم ما يتمناه.

وقد وجدت هذه الراية ممزقة في الموقعة التي قتل فيها رستم وانهزم فيها الفرس وتشتت فيها شملهم، وهي المعركة المعروفة بمعركة القادسية، وكان الفرس يعتقدون أنَّ الانتصارات التي حازوها عبر تاريخهم ترجع إلى تلك الراية، ولكن عندما جاء المسلمون يحملون دين الله في قلوبهم رافعين راية الحق بطل السحر واندقت راية الكفر، ولم يغن عن الفرس سحرهم شيئا[1].

(١) السحر. لمحمد محمد جعفر: ص ١١.

المبحث الثالث

السحر عند المصريين

ومن الأمم التي اشتهرت بالسحر في التاريخ القبط في مصر «وقد دلت المخطوطات المصرية القديمة التي وجدت على ورق البردى أنَّ السحر كان له في مصر الاعتبار الأعلى عند جميع الطوائف، حتى رتبت له رسوم وطقوس، وجعلت له وظائف يقوم بها رجال الدين».

وقد دلتنا تلك المخطوطات على أنَّهم كانوا يتلون العزائم الشركية - في بعض الأحيان - بقصد مفاجأة الآلهة، ليؤثِّروا الآثار المطلوبة لهم، وفي أحيان أخرى كانوا يخلطون الوصفات الطبية بالرقى والتعاويذ لدفع الأمراض.

وكان المصريون الأقدمون يُقَسِّمون الجسد الإنساني إلى أعضاء، معتقدين أنَّ كلا منها تحت تأثير إلـه من الآلهة، وكتبوا جدولا بالأيام السعيدة والنحسة على حسب كلِّ مشروع من المشروعات، فكانوا يقولون: لا يجوز ركوب النيل في التاسع عشر من شهر (هاتور) وكانوا يعتقدون أنَّ الطفل الذي يولد في (بابه) يحكم عليه بالقتل»[1].

«ومن أعظم ملوك مصر الذين حكموهم في آخر عصورهم الملك (نيكتانيبس) وكان ساحرا ضليعا، وامتد حكمه إلى عام ٣٥٨ قبل الميلاد[2].

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/٦٤. و(هاتور) و(بابه) من أسماء الشهور عندهم.

(٢) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ١٥.

ويذكر القرافيُّ في (فروقه) أنَّ «القبط في أيام (دلوكا) ملكة مصر بعد فرعون وضعوا السحر في البرابي[1] وصَوَّروا فيه عساكر الدنيا، فأيُّ عسكر قصدهم وأيُّ شيء فعلوه تخيل ذلك الجيش أو رجاله من قلع الأعين أو ضرب الرقاب وقع في ذلك العسكر في موضعه، فتحاشتهم العساكر، فأقاموا ستمائة سنة والنساء هنّ الملوك والأمراء بمصر بعد غرق فرعون وجيوشه[2].

وكان للسحرة المصريين معادلات جبرية، ومجاميع حسابية وفلكية ورموز وكلمات عويصة يستعملونها باستمرار كلَّما عمدوا إلى السحر، وكان الكاهن قبل قيامه بأعماله السحرية ينزوي في صومعته لمدة تسعة أيام يقوم خلالها بتنظيف مكانه وملبسه يوميا، ويتناول طعاما خاصًا، ويقوم برياضة دينية عميقة، حتى إذا ما انتهت الأيام التسعة المفروضة غسل فمه بالنترون، ورسم باللون الأخضر صورة ريشة صغيرة على لسانه، وهذه الرسمة ـ عندهم ـ تدلُّ على الصدق أو الحقّ. ثمَّ يرسم دائرة كبيرة بلون اليوم الذي سيبدأ فيه السحر، ويرسم حولها من الداخل والخارج العلامات والرموز السحرية، ثمَّ يبدأ عمله[3].

وكان السحرة يمارسون سحرهم عند تحضير الموتى للانتقال إلى العالم الآخر، فاجراءات التحنيط والدفن كانت متصلة ـ عند قدماء المصريين ـ اتصالا وثيقا بالسحر، فقد كانوا يتلون عند كلِّ عملية من عمليات التحنيط الرقى والتعاويذ والعبارات السحرية الخاصَّة التي لايمكن بدونها أن تتم عملية التحنيط كما يجب.

---

(١) الفروق للقرافي: ٤/١٤٠.

(٢) البرابي: هي بيوت حكمة القبط. ويقال: إنه كان لكل كورة من كُوَر مصر برباه يجلس فيها كاهن على كرسي من ذهب. (راجع كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: ١/٣٩٤).

(٣) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ١٩.

ونجد أكثر من ذلك أنَّ نصوص الأهرام المكتوبة باللغة الهيروغليفية وهي أقدم صفحة من صفحات الفكر الإنساني عثر عليها الإنسان حتى اليوم، تحوي آثارا واضحة من السحر، بل إنَّ بعض علماء الآثار عدُّها مجرد مجموعة من التعاويذ والرموز السحرية.

وأكَّد الباحثون في الآثار القديمة أنَّ المناظر والرسوم المنقوشة على جدران قبور قدماء المصريين قد نقشت بقصد سحري، إذ كان القصد منها تحقق محتوياتها في الحياة الأخرى.

وفي عهد الامبرطورية المصرية القديمة كان كتاب الموتى المشهور عبارة عن مجموعة من الصور السحرية والتعاويذ والرقى يستخدمها الموتى عندما ينتقلون إلى الحياة الأخرى.

ولم تخل مظاهر الحياة اليومية عند قدماء المصريين من آثار السحر، حتى إن المصري في العهد القديم لم يكن يُحَضِّر طعامه أو يتهيأ للنوم إلا بعد تلاوة بعض التعاويذ والصيغ السحرية الخاصة. وقد ازداد الالتجاء إلى السحر في عهد الدولتين الوسطى والحديثة أكثر مما كان عليه الحال في الدول القديمة، نستدلُّ على ذلك من وفرة النقوش والكتابات السحرية التي تمَّ الكشف عنها، ويرجع تاريخها إلى هاتين الدولتين.

وكانت مصر القديمة موطن الفنون والصناعات المختلفة ويستدلُّ من تاريخ هذه الفنون والصناعات أنه لم تكن تتمُّ أية عملية من العمليات الصناعية أو الكيماوية إلا بمصاحبة بعض الصيغ الدينية والعبارات السحريّة التي كانت تعتبر أساسية لنجاح هذه العمليات[1].

---

(١) فنون السحر: ص ٢٥.

لقد بلغ السحرة المصريون بسحرهم مبلغا عظيما، يدلنا على هذا أن الأمم الأخرى كاليونانيين والرومانيين وغيرهم من أهل العالم القديم كانوا يرون أن السحر المصري أرقى وأعمق من سحر البلاد الشرقية الأخرى، وكان سحرة البلاد الأخرى القريبة من مصر يسعون جهدهم لتقليد أعمال السحرة المصريين والتشبه بهم في كلّ ما يصنعون[1].

ومن اطلع على مكانة السحر عند المصريين قديما علم مدى جناية السحر على البشر عبر التاريخ، ولايملك المسلم وهو يقرأ هذا الضلال إلّا أن يقول: الحمد لله على نعمة الإسلام.

المواجهة بين موسى والسحرة

أخبرنا ربنا في كتابه الكريم العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عما جرى بين نبي الله موسى عليه السلام والسحرة الكبار على أرض مصر.

وكان الله أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه داعيا إياهم إلى الإيمان بالله، وأرسل معه آيات بينات دالة على صدقه، وكان أعظم هذه الآيات العصا التي كانت تتحول إلى ثعبان عظيم إذا ألقاها موسى من يده، وعندما كذّب فرعون موسى، وطالبه بآية تدل على صدقه أراه الآية الكبرى ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ.﴾[2] فأراد فرعون وملؤه إبطال آية موسى بمعارضتها بأعمال السحرة الذين كانوا قد بلغوا في تلك الأيام مبلغا عظيما، فجمعوا له

---

(١) فنون السحر: ص ٢٩.
(٢) سورة الأعراف: ١٠٧.

السحرة من أنحاء دولته ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾[1] وحدَّد يوم العيد موعدا للمواجهة ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾[2].

وجُمع السحرة من أنحاء مصر، ورغبهم فرعون في الأجر والرفعة عنده، ليحفزهم على بذل أقصى ما عندهم في المواجهة في اليوم المشهود، وجمع الناس من مختلف الأقطار ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾[3].

ووعظ موسى السحرة قبل المبارزة، فتحاوروا فيما بينهم وعزموا على المضي قدما فيما أعدوا أنفسهم له ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف: ١٠٩ ـ ١١٢.
(٢) سورة طه: ٥٨ ـ ٦٠.
(٣) سورة الشعراء: ٣٩ ـ ٤٣.
(٤) سورة طه: ٦٢ ـ ٦٥.

وقد خير السحرةُ موسى قائلين: ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾(١) فاختار موسى أن يكون السحرة هم البادئين ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ﴾(١) ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ﴾(٢) ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(٣). ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٤).

وكانت المفاجأة التي هزت موسى، وعقدت ألسنة الحاضرين، لقد سحروا أعين المشاهدين، حتى خيل إليهم أنَّ تلك الحبال والعصي الملقاة أفاعي تسعى على الأرض ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾(٥) ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾(٦) ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾(٧) فنزل الوحي يثبته ويسدِّده ويهون أمرهم ويبشره بالغلب والنصر ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾(٧).

ألقى موسى مافي يمينه فجاءت على ما صنعوا فابتلعت تلك الحبال والعصي واحدة بعد الأخرى، وكان منظرا مهولا جعل السحرة يخرون ساجدين لربِّ

---

(١) سورة الأعراف: ١١٤ ـ ١١٥.
(٢) سورة طه: ٦٦ ـ ٦٧.
(٣) سورة يونس: ٨٢ ـ ٨٣.
(٤) سورة الشعراء: ٤٥.
(٥) سورة طه: ٦٧.
(٦) سورة الأعراف: ١١٦.
(٧) سورة طه: ٦٨ ـ ٧١.

العالمين، معلنين للجموع الكبيرة التي جاءت لشهود المبارزة أنَّ ما جاء به موسى آية إلهية ربانية ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1]. وقال في موضع آخر: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾[2].

يقول ابن كثير: «لما ألقاها صارت حيّة عظيمة وشكلا هائلا مزعجا بحيث أنَّ الناس انحازوا منها، وهربوا سراعا، وتأخروا عن مكانها، وأقبلت هي على ما ألقوه من الحبال والعصي، فجعلتْ تلقفه واحدا واحدا في أسرع ما يكون من الحركة، والناس ينظرون إليها ويعجبون منها.

وأمّا السحرة فإنَّهم رأوا ما هالهم وحيرهم في أمرهم، واطلعوا على أمر لم يكن في خلدهم ولا دار في بالهم، ولا يدخل تحت صناعتهم وأشغالهم، فعند ذلك وهنالك تحققوا بما عندهم من العلم أنَّ هذا ليس بسحر، ولا شعبذة، ولا محال، ولا خيال، ولا زور، ولا بهتان، ولا ضلال؛ بل حقٌّ لا يقدر عليه إلا الحق الذي ابتعث هذا المؤيد بالحقِّ، وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة، وأنارها بما خلق فيها من الهدى، وأزاح عنها القسوة، وأنابوا إلى ربهم، وخروا له ساجدين»[3].

---

(١) سورة الأعراف: ١١٧ - ١٢٢.
(٢) سورة طه: ٧٠ - ٧١.
(٣) البداية والنهاية: ١/٢٥٦.

المبحث الرابع
السحر عند أهل الهند

«وفي الهند كانت الديانة وعلوم السحر مختلط بعضها ببعض، ليس فقط بالنسبة للتحفظ من الشيطان المغري بالشهوات، بل للتسلط على الآلهة بالرياضات والتقشف والتضحية... الخ.

فلما جاءت الديانة البوذية التي هي إصلاح للبرهمية لم تحذف السحر بل أقرته، وهو لا يزال عظيم الاعتبار في التبت والصين»[1].

وحسبنا أنَّ نعلم أن أحد أسفار (الفيدا) الأربعة، وهو سفر (أترافا) مخصص لمعرفة الرقى والسحر.

و(الفيدا) هو الكتاب المقدس عند الهندوس، وقد تكامل هذا الكتاب عبر الأجيال، ولم يبق منه إلا أسفار أربعة. ومن ينظر في الحال التي عليها الهند اليوم فإنّه يرى في حاضرها صورة لماضيها الغابر، فالسحرة والكهان والعرافون ومروضو الثعابين يبلغ تعدادهم عدة ملايين.

وأما البراهمة الذين يزعمون أنَّ العالم نشأ من زعيمهم ومعبودهم (براهما)فإنَّهم مع ازدرائهم للسحر والديانة التي ترتضيه وتقوم عليه لم يقاوموه ولم يستنكروه.

والهنود كانوا يعتقدون بأنَّ النجوم لها تأثير عظيم على البشر، وكان السحرة والعرافون يدَّعون معرفة الغيب، ويطلعون الناس على ما غاب عنهم مقابل أجر

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/٦٥.

زهيد، ويزعمون أنَّ باستطاعتهم مواجهة الشر المتمثل في الشياطين والثعابين.

كما كانوا يزعمون أنَّ بمقدورهم تسليط الشياطين على أعداء من يستعين بهم أو يدفع لهم مالا، كما أنَّ باستطاعتهم طرد أولئك الأعداء.

وكان سحرة الهند يزعمون فوق هذا كلّه أنهم يستطيعون أن يجددوا الحيوية في الإنسان أو أن ينشئوا الحبَّ في أيّ إنسان لإنسان آخر.

وإذا طالعنا الكتب الطبيّة الهندية القديمة رأينا هذا العلم قد اصطبغ بالسحر في كل مباحثه، سواء في بحث العلل والأمراض أو في التداوي والعلاج[1].

---

(١) راجع قصة الحضارة لـ(ول ديورانت): ٣/٣٨، ٢٦٧، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٤٢.

المبحث الخامس
السّحر في بلاد الإغريق

«وكان للسحر مكان واسع عند اليونانيين، وكانوا على نحو جميع الأمم في أمر الاعتقاد بالرقم والعزائم والطلاسم وتأثير الأرواح الشريرة إلى غير ذلك»[1].

«وكان الرأي عند بدء عصر النهضة والتنوير وقيام العلماء بدراسة التراث اليوناني والروماني القديم دراسة نقدية عميقة أنَّ أمة اليونان مبرأة من أعمال السحر إذا قورنت بغيرها من الأمم القديمة وأنَّ أمة قد أنجبت أمثال (أرسطو، وأفلاطون، واكسينيفون، وأوريبيدس) لا يمكن أن يستهويها فنٌّ كفنِّ السحر الذي لا يعدُّ من الفنون الجميلة.

على أنَّ هذا الرأي الذي يذهب إلى تبرئة اليونان القديمة من السحر والسحرة لم يقو على احتمال معاول النقد الحديث لفنون الإغريق وفلسفتهم. فإنه لا يصعب على الباحث أن يلمس آثار السحر في الديانة الإغريقية وفي التاريخ والأدب الإغريقي المليء بالرموز والكنايات السحرية. فالأساطير الإغريقية مليئة بالأفعال السحرية العجيبة التي تنقل الكائنات من حال إلى حال، وبأخبار السحرة والكائنات العجيبة التي تجمع بين خصائص الإنسان والحيوان.

(والإسبرطيون) الذين أعجب الفلاسفة بدستورهم ونظامهم التعليمي كانت حياتهم اليومية تتسم في الواقع بسمات الحياة اليومية البدائية التى تغلب عليها

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/٦٥.

الطقوس والشعائر التي تمتُّ إلى السحر بصلة كبيرة. كما أنَّ المؤرخ اليوناني المشهور (هيرودتس) ويكنى بأبي التاريخ كان يميل بصفة خاصة إلى تدوين القصص والروايات المتصلة بالتكهنات العجيبة والهواتف التي تخرج من باطن الأرض أو تنبعث من كبد السماء، فيفسرها السحرة كما يريدون ويحبون، فكان تاريخه المشهور مليء بمثل هذه القصص والأعاجيب كما أنَّ كتابات (اكسينيفون) مليئة بأخبار القرابين والكهانة والرؤى والأحلام وما تنبي عنه من خيرات أو شرور.

ولا يقف ذكر هذه الأعاجيب والتكهنات الغريبة عند الكتّاب الإغريق العاديين، بل إنَّ آخرين ممن عرفوا بالحكمة والفلسفة مثل (أفلاطون)، أو التعمق في الأدب مثل (أوربيدس) قد ذكروا الرقى والتعاويذ والأشربة التي تولد العشق والهيام وغير ذلك من الأعمال السحرية.

ونحن إذا أدخلنا في اعتبارنا كلَّ هذه الشواهد الثابتة في كتب التاريخ والأدب والفلسفة فلا يسعنا إلا القول بأنَّ الإغريق لم يكونوا أقلَّ انغماساً في السحر من غيرهم من الأمم القديمة وأنَّ السحر كان عنصراً هاماً من عناصر الحضارة الإغريقية.

والغريب أنَّ علم التنجيم وغيره من العلوم الغيبية لم يظهر في بلاد الإغريق في شكلها المتقدم إلا في العهد (الهلليني) الذي بلغت فيه الحضارة اليونانية أوجها. وتذهب الروايات إلى أنَّ شخصاً يدعى (أوثانسي) قد نقل فنون السحر في شكلها المتقدم إلى بلاد الإغريق، في عهد الحروب التي استعرت بين الفرس والإغريق ولم تكن هذه الفنون بدعة جديدة في نظر الإغريق، إنما كانت بمثابة صور أسمى وأكثر تقدماً من الصور السحرية الغليظة البدائية التي كانوا يمارسونها حتى ذلك الوقت.

ولم تكن الفلسفة اليونانية هي الأخرى مبرأة من السحر. فقد قال (زيللر Zeller) وهو أعمق وأدق من كتب في الفلسفة اليونانية إنَّ الفيلسوف (أمبيدوقليس) كان يعتقد في نفسه القدرة على السحر. نستدلُّ على ذلك من كتاباته ذاته، فقد ذكر أنَّ لديه القوة على مداواة الشيخوخة والمرض، وعلى إثارة العواصف أو تهدئتها، وعلى استنزال المطر أو حبسه، بل وعلى استدعاء الميت إلى الحياة ثانية.

وتحدَّث (أفلاطون) عن السحر في كتبه الفلسفية وخاصة في قوانينه، فهو يذكر أنَّ رجال الطب والأنبياء والعرافين هم وحدهم الذين يستطيعون فهم طبيعة السموم التي تعمل عملها بشكل طبيعي، وفهم أشياء أخرى مثل التعاويذ والعقد السحرية والتماثيل الشمعية.

ولما كان غيرهم من الناس ليست لديهم أية معرفة يقينية عن مثل هذه الأشياء فمن شأنهم أن لا يأبهوا لها وأن يحتقروها. وهو يعترف مع ذلك أنه ليس هناك من فائدة في إقناع أكثر الناس بحقيقة هذه الأشياء، وأنه من الضروري سنّ القوانين لمحاربة السحر والكهانة.

والظاهر أنَّ آراء (أفلاطون) عن الطبيعة مشبعة بعقائد مستمدَّة من مجوس المشرق أو على الأقل بعقائد أكثر صلة بالسحر منها بالعلم كما أنها متمشية مع علم التنجيم، وهو يسبغ على الأشياء المادية سمة إنسية ويخلط بين الخصائص الروحية والخصائص المادية.

ويحاول أفلاطون أيضاً أن يفسّر السحر تفسيراً طبيعيًّا أو عقليًّا، فهو مثلا يقول عن العِرَافة عن طريق الكبد: إنَّ الكبد هو بمثابة المرآة التي تنعكس عليها أفكار المرء وصورة النفس. وهو يتحدث عن الحب الموائم بين العناصر على أنه مصدر الصحة والخصب للنبات والحيوان والإنسان، وأنَّ الحب المتهور بينها هو

علة الطواعين والأمراض وأن دراسة وفهم هذين النوعين من الحب وصلتهما بدورات الأجرام السماوية وتغير فصول السنة هو ما يسمى بعلم الفلك أو علم التنجيم، وأساس قانونه سيطرة الكواكب على المخلوقات الدنيا[1].

(١) فنون السحر: ص ١٧ ـ ٢١ بتصرف قليل، وشيء من الاختصار.

المبحث السادس

السحر عند اليهود والنصارى

كلّ الشرائع التي أنزلها الحقُّ تبارك وتعالى «أنكرت السحر وأمرت بمحاربة السحرة، ذلك أنَّ السحر يضادُّ الحقَّ الذي أنزله الله تبارك وتعالى، فالله يدعو الناس جميعا إلى الإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له، والتوكل عليه والالتجاء إليه دون سواه، والسحر يعبد العباد لغير الله تبارك وتعالى، ويصرف قلوبهم ووجوههم إلى الشياطين والنجوم والشمس والقمر والبشر.

وقد أمرت التوراة بني إسرائيل بقتل السحرة، جاء في التوراة «لا تدع ساحرة تعيش»[1].

كما ذكرت لنا التوراة المواجهة التي قامت بين موسى والسحرة، وكيف انتصر موسى على السحرة، «طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده، فصارت ثعبانا، فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة، ففعل عَرّافو مصر أيضا بسحرهم كذلك، طرح كلُّ واحد عصاه فصارت العصي ثعابين، ولكنَّ عصا هارون ابتلعت عصيهم»[2].

والدارس لتاريخ اليهود يعلم أنَّ اليهود قد انحرف بهم المسار، فتعلَّم كثير منهم السحر ومارسوه، ولم يكن هذا وقفا على العوام منهم، بل تعدَّاه إلى علمائهم وأهل الرأي فيهم.

---

(١) سفر الخروج، الاصحاح الثاني والعشرون، فقرة: ١٨.

(٢) سفر الخروج، الاصحاح السابع، فقرة: ١٠ ـ ١٢. وينبغي أن يتنبه القارىء إلى التحريف الذي أصاب النص، فالعصا عصا موسى لا عصا هارون، والملقي هو موسى لا هارون، وهذا معلوم من القرآن الكريم.

فالتلمود يعتقد اعتقادا جازما بأنَّ التنجيم علم يتحكّم في حياة الإنسان، فالنجم في زعم كاتبي التلمود يجعل الإنسان ذكيًا أو غنيًا.

يقول الحاخام شانينا «إنَّ تأثير النجوم تجعل الرجل ذكيا، وتأثيرها يجعله ثريا، وبنو إسرائيل تحت تأثير النجوم»[1].

والتلمود ممتلىء بطقوس السحر والشعوذة والعِرَافة، ومن الخرافات المرتبطة بالسحر التي يذكرها التلمود أنَّ بعض الحاخامات اليهود كانوا قادرين على خلق الإنسان والبطيخ.

ويذكر التلمود في هذا المجال أنَّ أحد حاخاماتهم أحال امرأة إلى أتان، ثمَّ ركبها وذهب إلى السوق، وهناك قام حاخام آخر بإعادتها إلى صورتها الأصلية.

ويزعم الحاخامات أنَّ إبراهيم عليه السلام كان يعرف «العِرَافة»، ويزعمون أنه أعطى بعض الهدايا لأبنائه كانت فيها قوة السحر، وكان يعلِّق حول عنقه عقدا يتوسطه حجر يشفي كلَّ من رآه[2].

واستشرى تعلُّق اليهود بالسحر حتى بلغ الأمر بهم إلى ترك الشريعة المنزلة ونبذها والتعلق بالسحر في كلِّ شأن من شؤون حياتهم، يدُلك على هذا قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[3].

---

(١) التلمود لظفر الإسلام خان: ص ٧٤.
(٢) التلمود لظفر الإسلام خان: ص ٨١.
(٣) سورة البقرة: ١٠١ - ١٠٢.

إنَّ النصَّ الكريم يوضِّح حجم تعامل اليهود مع السحر، فقد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وهذا الذي اتبعوه هو السحر الذي علَّمته الشياطين.

وقد زعم اليهود أنَّ نبيَّ الله سليمان كان ساحرا، وبالسحر دانت له الجنُّ والإنس والطير وسخرت له الريح، فبرأ الله نبيه سليمان مما افتريته عليه اليهود ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾(١).

وقد ذكر القرآن كثيرا من أخبار نبيه سليمان، فقد أخبرنا القرآن الكريم أنَّ سليمان دعا ربه أن يهبه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وأنَّ الله استجاب دعاءه ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾(٢) وقال الحقُّ مبينا الملك الذي وهبه له: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾(٣).

وحدثنا الله في مواضع أخرى عن الريح المسخرة لنبيه سليمان ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾(٤) ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.
(٢) سورة ص: ٣٥.
(٣) سورة ص: ٣٦ - ٣٩.
(٤) سورة الأنبياء: ٨٢.
(٥) سورة سبأ: ١٢.

وحدثنا عن تسخيره الجنَّ لسليمان والأعمال التي كانوا يقومون بها ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾[1].

وأخبرنا القرآن أنَّ الله علَّم نبيه سليمان منطق الطير ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[2].

والمتأمل في هذه النصوص يعلم علما يقينا أنَّ ما أعطيه سليمان كان فضلا من الله تبارك وتعالى، كما قال سليمان بعد أن جاءه الذي عنده علم من الكتاب بعرش ملكة سبأ قبل أن يرتد إليه طرفه: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[3]، وقال بعد أن فقه كلام النملة ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾[4].

لقد كان سليمان ملكا نبيًا ولم يكن ساحرا، ولكنه الافتراء الذي لم ينج منه حتى الأنبياء، وليس اتهام سليمان بالسحر بأقلَّ من اتهام اليهود له بعبادة الأصنام، ففي المحرف المكذوب من التوراة «وكان في زمان شيخوخة سليمان أنَّ نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب

---

(١) سورة سبأ: ١٢ - ١٣.
(٢) سورة النمل: ١٦ - ١٩.
(٣) سورة النمل: ٤٠.
(٤) سورة النمل: ١٩.

داود، فذهب سليمان وراء (عشتورت) إلاهة الصيدونيين، (وملكوم) رجس العمونيين، وعمل سليمان الشرَّ في عيني الربِّ، ولم يَتْبَعْ الربَّ تماما كداود أبيه، حينئذ بنى سليمان مرتفعة (لكموش) رجس الموآبيين على الجبل تجاه أورشليم، (ولمولك) رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الربُّ على سليمان، لأنَّ قلبه مال عن الربِّ إله إسرائيل»[1].

هذا ما تقوله التوراة المحرفة عن نبي الله سليمان، أفيبعد عليهم بعد ذلك أن يقولوا عنه: إنه إنما أخضع الجن والإنس والطير والريح بالسحر؟!.

وعلى الرغم من النصِّ الصريح الذي برأ الله به نبيه سليمان من السحر فإنَّ السحر بقي متلبسا بهذا النبي الكريم في أذهان كثير من الناس، ومنهم الذين ينسبون إلى الإسلام، حتى غدا سليمان والسحر قرينان لا يذكر واحد منهما حتى يذكر الآخر.

والمتتبع لهذه الظاهرة الظالمة يجد أنَّ الكذب والافتراء على سليمان لم يتوقف بعد مجيء الإسلام، بل أدخلت على سيرته كثير من القصص والأساطير مما نراه في قصص ألف ليلة وليله وغيره من الكتب، بل إنَّ كثيرًا من كتاب الفرس والعرب والترك مثل الفردوسي، وسعد الدين، وإسحق بن إبراهيم، وأحمد الكرماني، وشمس الدين السيواسي، بالغوا في ذكر أعاجيب سليمان، وذكروا كثيرا من تفاصيل حياته التي أغفلها اليهود بحيث غدا سليمان في كتبهم عبارة عن شخصية أسطورية دون أن يكون لها ضريب على الإطلاق في كتب الأدب الأخرى، حتى ولا في أساطير الهند المغرقة في الخيال[2].

---

(١) سفر الملوك الأول، الاصحاح الحادي عشر. فقرة: ٤ ـ ٩.
(٢) فنون السحر: ص ٤٧.

وقد تداول الناس عبر التاريخ كتب السحر التي تُعبِّد الناس للشياطين، وتقيم بينهم وبين ربهم حجابا وحاجزا، ونسبوا هذه الكتب إلى نبيِّ الله سليمان، وسليمان منها براء.

المبحث السابع
السحر في أوروبا

ذكرنا في المبحث السابق أنَّ اليهود هم الذين نشروا السحر في أوربا، وكانت بدايات نشرهم له في الوقت الذي استوطنوا فيه إسبانيا ـ تحت حكم المسلمين ـ حيث وجد اليهود الأمن في ظلِّ الدولة الإسلامية العادلة، ولكنَّهم استغلوا هذه الفرصة لنفث سمومهم في شتى البقاع في أوربا، وقد راع الباحثين في تاريخ أوربا الدورُ الكبيرُ «الذي لعبه السحرة والسحر في حياة هذه الممالك.. فقد كان للسحر والسحرة والساحرات في هذه البلاد شأن عظيم عند الحكام والطبقة الراقية، وأقبل على دراسته وممارسته الأمير والصعلوك والغني والفقير والعالم والجاهل..

ولا عجب، فإنَّ الحسد والتنافس، والتكالب على القوة وحبِّ السلطان والمال، والجشع والطمع وحب الشهوة والانتقام والمكائد، والدسائس وغيرها التي كانت تعيش فيها هذه البلدان ـ كلُّ هذا كان في حاجة ماسة للسحر لتحقيق أغراض ذوي المآرب. فقد كان لكلِّ ملك أو أمير أو أميرة ساحره الخاص الذي يقوم بخدمته ويحقق له أو لها الأغراض»[1].

وقد انتشر السحر في أوربا بواسطة اليهود، ولم يبق السحر هناك كما كان من قبل يمارسه أفراد في شتى المدن والبلاد، بل أنشأ اليهود جمعية عرفت باسم (القبلانية). وأصبح لهذه الجمعية شبه مذهب وفلسفة دينية يعتمد على التلمود،

---

(١) السحر لمحمد محمد جعفر: ص ٣١.

إذ يقال إنَّ الأرواح الشريرة موجودة بشكل دائم بين الناس. وفي هذا الكتاب كذلك فقرات يذكر فيها إمكانية استخدام هذه الأرواح لتحقيق أهداف معينة.

وفي القرن الرابع عشر انتشرت القبلانية في أوروبا ابتداء من ألمانيا، ونزولا إلى فرنسا وإيطاليا حيث أنشأت هذه الفئة من اليهود مدرسة قبلانية سنة ١٥٣٣ كانت أول مدرسة للسحر الأسود إلى أن أغلقت سنة ١٥٧٢. وتطورت هذه الظاهرة بعد ذلك فأنشئت جمعيات عديدة مارست السحر الأسود، ولا يزال بعضها موجودا حتى الآن، ومنها الماسونية التي تمارس شعائر شبيهة بالتي كانت تمارسها القبلانية.

ومن الشخصيات التاريخية التي التحقت بهذه الجمعيات (جيل دي رايس)، مرافق (جان دارك) وماريشال فرنسا فيما بعد. وكان (دي رايس) مشهورا بتقواه، ويعمل الخير، ويتمسك بالمثل العليا. لكن بعد موت (جان دارك) كتب أنه «سلم نفسه إلى الشيطان»، والتحق بمجموعة من الناس تقوم بأشنع الجرائم، خاصة ضد الأولاد. فخلال سبع سنوات اختفى ألوف الأولاد الذين يعتقد أنَّ هذه الجمعية ضَحَّت بدمهم من أجل الشيطان. وبعد أن اكتشف ذلك أحرق (دي رايس) وسجلت أسماء ضحاياه في كتيب خاص بهذه الفترة من التاريخ[1].

---

(١) مجلة الحوادث الصادرة من لندن: ١٩٨٤/٢/١٠.

المبحث الثامن

السحر عند العرب قبل الإسلام

ونجد في تاريخ العرب أخبارا تدلُّ على أنَّ العرب عرفوا السحر الذي عرفته الأمم الأخرى، ومارسوه كما مارسته تلك الأمم حماية لأرواحهم وأموالهم وبلادهم، ولكنَّ العالم بتاريخ العرب يعرف أنه لم يكن للعرب عناية كبيرة في صناعة السحر كما هو الحال عند الآشوريين والسريانيين والمصريين واليونانيين، وجلّ عنايتهم كانت بالكهانة والعرافة، وسيأتي الحديث عنهم في آخر الكتاب.

ومن أوثق الأدلة على وجود السحر عند العرب بمعناه الذي وجد في الأمم الأخرى ماجاء في الأحاديث الصحيحة من قصة أصحاب الأخدود، ففي تلك القصة إخبار بأنَّ الملك كان له ساحر، وكان للساحر مكانة عظيمة، وكان بإمكانه تعليم السحر لمن يراه لذلك أهلا.

ولكن يبقى الاستدلال بالقصة موضع نظر، لأنَّ الأحاديث الصحيحة الواردة في هذه القصة لم تدلَّ صراحة على أنَّ أصحاب الأخدود كانوا عربا من أهل نجران كما ذهب إليه بعض المؤرخين، وإن كان هذا هو الراجح في هذه المسألة.

قصة أصحاب الأخدود

وقصة أصحاب الأخدود رواها مسلم في صحيحه عن صهيب؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال« كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إليَّ غلاماً أعلِّمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلِّمه، فكان

في طريقه - إذا سلك - راهب. فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب. فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس. فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللهمَّ إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بُنيَّ! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أَرىٰ. وإنك ستُبتلى، فإن ابتُليت فلا تدلَّ عليَّ.

وكان الغلام يبرىء الأكمة[1] والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاهُ الله.

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربُّك الله. فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتى دلَّ على الغلام.

فجيء بالغلام. فقال له الملك: أي بني! قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أَشفي أحداً، إنما يشفي الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب

---

(١) (الأكمه) الذي خلق أعمى.

فجيء بالراهب. فقيل له: ارجع عن دينك، فأبىٰ. فدعا بالمئشار[1]. فوضع المئشار في مفرق رأسه. فشقّه حتى وقع شقّاه. ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى. فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه.

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذُروته[2]، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل. فقال: اللهم! اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل[3] فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[4]، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به، فقال: اللهم! اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة[5] فغرقوا. وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فقال للملك: إنك لستَ بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وماهو؟ قال: تجمع الناس في صعيد[6] واحد، وتصلبني على جذع. ثم خُذ سهماً من

---

(١) (بالمئشار) مهموز في رواية الأكثرين: ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء. وروي: المنشار، بالنون، وهما لغتان صحيحتان.

(٢) (ذروته) ذروة الجبل أعلاه، وهي بضم الذال وكسرها.

(٣) (فرجف بهم الجبل) أي اضطرب وتحرك حركة شديدة.

(٤) (قرقور) القرقور السفينة الصغيرة. وقيل: الكبيرة. واختار القاضي الصغيرة. بعد حكايته خلافا كثيرا.

(٥) (فانكفأت بهم السفينة) أي انقلبت.

(٦) (صعيد) الصعيد، هنا، الأرض البارزة.

كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس[1]، ثم قل: باسم الله، ربِّ الغلام، ثم ارمني. فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثمَّ وضع السهم في كبد القوس، ثمَّ قال: باسم الله، ربِّ الغلام، ثمَّ رماه فوقع السهم في صُدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام.

فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حَذرك[2]. قد آمن الناس فأمر بالأخدود[3] في أفواه السكك[4]، فخدَّت، وأضْرَم النيران. وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها[5]، أو قيل له: اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست[6] أن تقع فيها. فقال لها الغلام: يا أمَّه! اصبري، فإنَّك على الحقِّ»[7].

قصة صاحب الحضر

وتَذْكر بعض كتب التاريخ أنَّ من العرب من عرف الطلاسم، ففي كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير أنَّ أحد ملوك الفرس غزا حصنا بناه أحد ملوك

---

(١) (كبد القوس) مقبضها عند الرمي.

(٢) (نزل بك حذرك) أي ما كنت تحذر وتخاف.

(٣) (بالأخدود) الأخدود هو الشق العظيم في الأرض، وجمعه أخاديد.

(٤) (أفواه السكك) أي أبواب الطرق.

(٥) (فأحموه فيها) هكذا هو في عامة النسخ: فأحموه، بهمزة قطع بعدها حاء ساكنة. ونقل القاضي اتفاق النسخ على هذا. ووقع في بعض النسخ: فأقحموه، بالقاف وهذا ظاهر. ومعناه اطرحوه فيها كرها. ومعنى الرواية الأولى ارموه فيها. من قولهم: أحميت الحديدة وغيرها، إذا أدخلتها النار لتحمى.

(٦) (فتقاعست) أي توقفت ولزمت موضعها، وكرهت الدخول في النار.

(٧) صحيح مسلم: (ص ٢٢٩٩).

اليمن اسمه (الحضر)، وبانيه يسمى (بالساطرون)، فلم يستطع فتحه لوجود طلسم كان في الحضر، وكان مفتاح هذا الطلسم أن تؤخذ حمامة ورقاء، وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء، ثمَّ تُرْسَل فإن وقعت على سور الحصن سقط ذلك الطلسم وفتح باب ذلك الحصن[1].

قصة عبدالله بن جدعان

ومن الأخبار التي تدلُّ على انتشار السحر في الجزيرة العربية ـ وقد تكون هذه الأخبار أساطير مكذوبة ـ ما يذكره المؤرخون عن عبدالله بن جدعان أحد كرماء أهل الجاهلية في مكة، فإنَّهم يذكرون أنه خرج ذات يوم في شعب من شعاب مكة، فرأى شقًّا في جبل، فلما اقترب منه إذا ثعبان يخرج إليه ويثب عليه، فجعل يحيد عنه، والثعبان يثب فلا يغني شيئا، ثم تبين لعبدالله أنَّ ذلك الثعبان ليس ثعبانا حقيقيا، وإنما هو مصنوع من ذهب، وله عينان من الياقوت، وقد صنع ليكون حارساً لقبور رجال من ملوك جرهم كانوا مدفونين في ذلك الشق، وكانت عندهم أموالهم وكنوزهم[2].

---

(١) انظر القصة في البداية والنهاية: ١٨٢/٢.

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير: ٢١٧/٢.

المبحث التاسع
السحر عند المسلمين

ولما جاء الإسلام شنَّ حربا لا هوادة فيها على السحرة والكهان والعرافين، وعدَّ الرسول ﷺ السحر واحدا من الجرائم السبع الكبرى، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات».

قالوا: وما هنَّ يا رسول الله؟

قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(١).

وسمّى هذه الذنوب موبقات لأنها تهلك صاحبها، والموبقات المهلكات.

وعد كثير من علمائنا السحر كفرا، واستدلُّوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾(٢).

وأخبر الرسول ﷺ أنَّ الذي يأتي كاهنا أو عرافا فيصدِّقه بما يقول فإنَّه لا تقبل له صلاة أربعين يوما، وفي حديث آخر قال: «فقد كفر بما أنزل على محمد، وعدَّ الذي يقتبس شعبة من النجوم قد اقتبس شعبة من السحر».

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الوصايا، باب قول الله: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾. فتح الباري: ٣٩٣/٥. ورواه مسلم: ٩٢/١. ورقم الحديث: ٨٩. واللفظ للبخاري.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

وذهب كثير من العلماء إلى وجوب قتل الساحر وعدم صحة توبته، وصحَّ عن عمر بن الخطاب أنَّه أمر ولاته في شتى أنحاء الدولة الإسلامية بقتل كلِّ ساحر وساحرة، وفعلا نفذ بعض الولاة أوامر الخليفة الراشد[1].

ولذا فإنَّ السحرة لم توجد لهم سوق رائجة في ديار الإسلام، وكان المسلمون المستقيمون ينظرون إلى السحرة نظرة ازدراء واحتقار. ومع ذلك فإنَّ ديار الإسلام لم تخل على مرّ التاريخ من السحر والسحرة، ولكنَّ المسلمين كانوا ينظرون إليهم نظرة مقت، وكانت سيوف الحكام تلاحقهم بالقتل والضرب والإذاية، وألسنة العلماء تبين خبثهم ودجلهم وضلالهم.

يذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في حوادث سنة أربع وثمانين ومائتين أنَّ الخليفة المعتضد أمر بأن يُنَادىٰ في جميع أنحاء البلاد بأن لا يجتمع العامة على قاص ولا منجم ولا جدلي[2].

وقد تحدَّث ابن خلدون عن تاريخ السحر عند المسلمين فقال: «علوم السحر والطِّلَّسمات مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر، ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من الكواكب أو غيره، ولذلك فإن كتبها كالمفقودة بين الناس إلا ما وجد من كتب الأقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام...، ولم يترجم لنا من كتبهم إلا القليل، مثل (الفلاحة النبطيَّة) لابن وحشيَّة من أوضاع أهل بابل، فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه، ووضعت بعد ذلك الأوضاع، مثل (مصاحف الكواكب السبعة)، وكتاب (طمطم الهندي) في صور الدرج والكواكب وغيرها.

---

(١) سيأتي تخريج الأحاديث التي أشرنا إليها هنا في مواضع من هذا البحث. كما سيأتي تحقيق القول في المسائل التي ذكرت هنا، مثل قتل الساحر، وتوبته إن شاء الله تعالى.

(٢) البداية والنهاية: ١١/٧٦.

ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملّة، فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة، وغاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها عدّة من التآليف، وأكثر من الكلام فيها وفي صناعة السيمياء، لأنها من توابعها، ولأنّ إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أُخرى إنما تكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية، فهو من قبيل السحر كما سنذكره في موضعه.

ثم جاء مسلمة بن محمد المجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات، فلخص جميع تلك الكتب وهذبها، وجمع طرقها في كتابه الذي سماه: (غاية الحكيم) ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده»[1].

وقال في موضع آخر: «وكتاب (الغاية) لمسلمة بن أحمد المجريطي هو مدونة هذه الصناعة، وفيه استيفاؤها وكمال مسائلها. وذُكِرَ لنا أنّ الإمام الفخر بن الخطيب وضع كتابا في ذلك سماه (السر المكتوم)، وأنه بالمشرق يتداوله أهله، ولم نقف عليه، والإمام لم يكن من أئمة هذا الشأن فيما نظنّ، ولعلّ الأمر بخلاف ذلك.».

وذكر ابن خلدون أنّ «بالمغرب صنفا من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحريّة يعرفون بالبعاجين، يشير الواحد منهم إلى الكساء أو الجلد فيتخرق، ويشيرون إلى بطون الغنم بالبعج فينبعج، ويسمي أحدهم لهذا العهد باسم البعّاج ، لأنّ أكثر ما ينتحل من السحر بعج الأنعام، يُرَهِّب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها، وهم متسترون بذلك في الغاية خوفا على أنفسهم من الحكام».

وذكر أنه «لقي منهم جماعة، وشاهد من أفعالهم هذه بذلك، وأخبروه أنّ لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفريّة وإشراك لروحانية الجنّ والكواكب،

---

(١) المقدمة لابن خلدون: ٩٢٤.

سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى (الخزيزيّة) يتدارسونها، وأنّ بهذه الرياضة والوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم[1]، وأنّ التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوى الإنسان الحر من المتاع والحيوان والرقيق، ويعبّرون عن ذلك بقولهم: إنما نفعل فيما يمشي فيه الدرهم، أي ما يملك ويباع ويشترى من سائر الممتلكات هذا ما زعموه».

قال ابن خلدون: «سألت بعضهم فأخبرني به، وأما أفعالهم فظاهرة موجودة، وقفنا على الكثير منها، وعاينتها من غير ريبة في ذلك»[2].

ويذكر ابن خلدون أنّ بعض المتصوفة خاضوا في نوع من السحر هو علم أسرار الحروف، وهذا النوع «هو المسمى بالسيمياء، نقل وضعه من الطِلّسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، فاستعمل هذا الاستعمال الخاص».

ويذكر ابن خلدون أنّ «هذا العلم حدث في الملّة بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه، وزعموا أنّ الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأنّ طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام والأكوان من لدن الإبداع الأوّل تنتقل في طوره وتعرب عن أسراره، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء، لا يوقف على موضوعه، ولا تحاط بالعدد مسائله، تعددت فيه تآليف البوئي وابن العربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما، وحاصله عندهم وثمرته

---

(١) هذا الذي يفعلونه مما تعينهم عليه الشياطين، وهم عباد الشياطين، وقد توصل البشر إلى مثل هذه الأفعال من غير استعانة بالشياطين، فالأشعة اليوم تقتل وتدمر بصمت وهدوء.

(٢) المقدمة لابن خلدون: ص ٩٣٠.

تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان»[1].

وقد أطال ابن خلدون في الكلام على هذا النوع من السحر، فإن شئت المزيد فارجع إليه.

---

(١) المقدمة: ص ٩٣٦.

المبحث العاشر
السحر في أمريكا والعالم الجديد

«عندما احتل الأسبانيون أمريكيا وجدوا للسحر مكانة كبيرة، ورأوا السحرة منقطعين في الفيافي يأوون إلى الغيران صائمين متقشفين محافظين على رسوم محددة من الرياضة النفسية يزعمون أنها أوصلتهم إلى مناجاة الأرواح والتسلط على نواميس الطبيعة.

ورأوا أنَّ للسحرة في أمريكيا الشمالية اطلاعا واسعا على خواص النباتات، فكانوا يصفونها للأمراض المختلفة، وكانوا يزعمون أنهم بالتأثير على صورة الشخص أو تمثاله ينتقل ذلك التأثير إلى صاحب الصورة أو التمثال، فيضره أو ينفعه كما يريد الساحر»[1].

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٥/٦٤.

المبحث الحادي عشر
السحر في العصر الحاضر

كان أهل القرية يجتمعون بعد كلّ كارثة تحلّ بهم بسبب البرق أو غيره حول ساحر القرية، ويطلبون منه أن يحدّد سبب الكارثة التي حلّت بقريتهم. عند ذلك ينظر الساحر في مرآة ويلفظ اسم أحد السكان أو عددا منهم، فيحكم أهل القرية على هؤلاء بالحرق أحياء، ولا يستطيع أحد من المحكوم عليهم بالإعدام بهذه الطريقة ولا من أقاربهم أن يعترض على هذه العقوبة القاسية، فجميع أهل القرية مقتنعون بأنّ الذين حكم عليهم بتلك العقوبة كانوا أداة للشيطان، وقد جلب الشيطان الضرر من خلالهم لغيرهم من أهل القرية.

قد يظنّ من يقرأ هذه الحادثة أنّها من أخبار القرون الوسطى، ولكنّ هذه القرية موجودة حاليا في جنوب أفريقيا، وقد لقي ستة من أهلها الموت حرقا، لأنّ ساحر القرية ذكر أنّهم الذين تسببوا بالكارثة التي أحلّها البرق في قريتهم في عام ١٩٨٣[1].

وقد يظنّ الناس أنّ هذا اللون من الدجل مقصور اليوم على الأمم المتخلفة، وهذا غير صحيح، فإنّ أكثر شعوب العالم تحضرا تجري فيها طقوس السحر على نحو واسع وبطرق مختلفة تصل إلى الإيذاء والقتل.

«ففي فرنسا يوجد ملايين من الفرنسيين المقتنعين بأنّهم ضحية الشيطان. وثمة اجتماعات ليلية تعقد في مخازن المشروبات في الطوابق السفلى من الفنادق

---

(١) راجع مجلة الحوادث الصادرة من لندن في عددها ١٤٢٣ بتاريخ ٨٤/٢/١٠.

الكبرى أو في بهو مواقف السيارات أو في الطوابق الأرضية لوزارة الدفاع في باريس التي يبدو أنها استضافت احتفالا من احتفالات الفودو (عبادة روحية لدى زنوج هاييتي).

في مايو ١٩٨٥ أضرم رجل وأخته النار في فراش والدهما المعاق لإنقاذه من الشيطان، وفي أبريل ١٩٨٥ فقد متقاعدان كلَّ ماشيتهما واكتشفا صخورا بوزن ٥٠٠ كيلوغرام في سرير ابنتهما، وعثرا على آلاف الدبابيس من جميع الأشكال في البستان والبيت، وفي أبريل ١٩٨٤ قتل شقيقان والدهما بثلاثين طعنة بالسكين، لأنهما كانا يعتقدان أنه كان يحضِّر (شراب المحبة) لكي يسحر زوجته ويفتنها. وقبل خمس سنوات حاول أن يهلك زوجته بالنار، وفي فبراير ١٩٨٤ قتل بناء مواطنا تركيا بالسكين لأنه كان يؤذيه بسحره».

وليست فرنسا وحدها موطن السحرة ففي ولاية (أوهايو) بالولايات المتحدة، يضحى سنويا منذ ١٩٦٩ بخمسة مواليد جدد على مذبح الشيطان من أجل الاحتفال بعودة فصل الصيف. وفي شهر يوليو الماضي أوسع ثلاثة رقائين احدى الفتيات ضربا وأحرقوها، لكي يحصلوا على أسماء الذين كانوا يعذبون روحها!.

وقد أظهر تحقيق أجرته وزارة الصناعة والبحث الفرنسية عام ١٩٨٢ بقصد تقدير مدى عقلانية المواطنين الفرنسيين أن ١٨٪ من هؤلاء يؤمنون بالسحر. ومع أن نصف الأشخاص المستجوبين قد أعلنوا أنَّ العلم سيفسر يوما تأثير هذا السحر ونتائجه، فإن بؤره تتكاثر. وفي الوقت نفسه تُودَع سنويا عدة آلاف من طلبات الرقية أو التعويذة في الأبرشيات الدينية.

ويقدر عدد السحرة والمشعوذين في فرنسا بحوالي ثلاثين ألفا، ويتجاوز «مجموع مبيعاتهم» السنويّة الثلاثة مليارات فرنك، مع أنه يستحيل معرفة الأرقام

بدقة. لأنَّ المادة ٤٠٥ من القانون الجزائي حظرت السحر، إذ نصَّت على عقوبات بالسجن من سنة إلى خمس سنوات بحق «المشعوذين والعرافين الذين يقنعون المخدوعين بأنَّهم يملكون القدرة على شفاء بعض الأمراض أو على خلق النجاح أو الحوادث أو الأحداث». وهكذا يمارس العديد من «مناجي الأرواح» أو «الوسطاء» السحر سرا، بينما تعلن مدارس السحر أو جمعيات عبدة الشيطان عن نفسها تحت أسماء مستعارة ووهمية شتى، كالجمعيات التي لا تبغي الربح والتي ينظمها القانون رقم ١٩٠١.

انطلاقا من هذه الممارسات، تنظم المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية المغلقة وتتكاثر، كما يصدر السحرة سنويا مئات من «أدلة السحر» ومن كراريس «العالم الشيطاني» فضلا عن أنَّ التلفزيون يهتم بالموضوع كثيرا، وله في هذا المجال مداخلات عدَّة.

لا يمرُّ يوم دون أن تروي الصحف قصة من قصص السحر الواقعية. بعض هذه القصص يُضْحِك، مثل حكاية رجل الأعمال التولوزي (من مدينة تولوز) الذي رقص حول صندوق صغير مليء بالأوراق النقدية لكي ينتزع عقدا مع اليابان. لكن بعضها الآخر يرعب ويحزن، مثل ذلك السيناريو المأساوي في مدينة (مونبيلييه) ففي مارس ١٩٨٣، قتلت احدى الممرضات ابنها البالغ من العمر ٦ سنوات بغية طرد الأرواح الشريرة منه، وذلك أثناء احتفال طقسي جنائزي.

إنها قضايا مذهلة تحير القضاة ساعة إصدار الحكم، وتقلق الكنيسة، ففي ٢٩ أبريل الماضي دعت اللجنة الرعوية المؤلفة من خبراء كنسيين في الباطنية والتنجيم إلى تعبئة المؤمنين ضد «هذا التحدي الأكبر من الإلحاد». وكان الفاتيكان قد أدان بشدة قبل أشهر خلت، وبواسطة صحيفة «اوسرفاتوري

رومانو» أولئك «الذين يمارسون السحر والذين يلتمسونه».

لكنَّ فرنسا لا تحتكر وحدها الاعتقاد بالخرافات، ففي ألمانيا، يؤمن مواطن من أصل أربعة بالسحر وآثاره. وتحوي ألمانيا ٨٠ ألف ساحرة، حتى أنَّ شعبها اعتقد منذ ثلاث سنوات أن (رومنيغه) أحد أبطال كرة القدم الوطنيين، كان ضحية ساحر فرنسي! وفي شهر مايو الماضي، أزالت احدى أشهر شركات مساحيق الغسيل الأميركية شعارها عن علبها، لأنها كانت تتلقى يوميا وطوال أشهر متتالية الألوف من الرسائل التي تستنكر وجود رموز شيطانية في هذا الشعار. وفي الصين لا يزال للسحر وجود ظاهر، وقد حكم على امرأة في شنغهاي بالسجن خمسة عشر عاما لأنها حاولت الاتصال بأخيها المتوفى بواسطة ساحر.

لكن من هم الفرنسيون الذين يعيشون تحت هاجس السحر؟ إنَّ معظمهم من النساء، حسب رأي مدير البحث في المجلس الوطني للبحوث العلمية. فالتحقيق الذي طلبه وزير التربية سنة ١٩٨٢ أظهر أنَّ الفرنسيات، وبخاصة غير العاملات منهن هنَّ أكثر ميلا إلى الاعتقاد باللامعقول. ثم إنَّ الأشخاص الذين لا يحتلون غير مركز اجتماعي عادي بالرغم من تحصيلهم الدراسي المهم هم أكثر تأثرا بهذا النوع من المعتقدات، إذ يبدو أنَّ التفاوت بين أعدادهم ومركزهم الاجتماعي يشجع هذا الإذعان لتصورات أخرى عن الواقع. وغالبا ما تكون سلسلة من المآسي والآلام والخيبات المهنية أو الشخصية وراء توجه المرء نحو «المختص» بفك السحر عنه. فالشيطان أو الساحر هما المذنبان الجاهزان للمحاكمة والمعاقبة!.

عندما يعترف الطبيب بالإخفاق يستعين «المريض» بالساحر، وعندما يهز كتفيه، يظهر الكاهن. ففي فرنسا يوجد الراقون في كثير من الأبرشيات، يُعَيِّنُهُمْ

المطران بالنظر إلى «ورعهم وتمسكهم بالتقاليد»، ويزيد عدد هؤلاء عن المائة في فرنسا. إنَّ هؤلاء الكهنة، المسنين غالبا، يلبون الطلب كيفما كان، في باريس يلتمس المؤمنون مواعيد قبل بضعة أشهر، وذلك فقط من أجل لقاء لا يدوم أكثر من ربع ساعة بسبب طول «لائحة الانتظار».

على أي حال يبدو أنَّ اللجوء إلى التنجيم والإيمان بالقوى الخفية ليسا فقط خشبة الخلاص بالنسبة إلى رجال ونساء تائهين. فالظاهرة أعمق جذورا، وجذورها ممتدة في تاريخ الغرب نفسه. إنها أحد الأجوبة على انهيار الروحانية، وعلى عقلانية علمية مفرطة عاجزة عن إعطاء معنى للحياة البشرية.

فالذي كانت الكنيسة تسميه استحواذا فيما مضى، يسميه الطب اليوم «هستيريا»، وهي التي تبقى أعمال الاحتيال التي لا تحصى منتشرة متكاثرة، كما حصل لصاحبة الفندق في مدينة نانسي التي دفعت ٦٥ ألف فرنك فرنسي لقاء تعويذة مصنوعة من... ورق المراحيض!

اليوم لم تعد الكنيسة ولا الشرطة هي التي تقلق السحرة وتخيفهم أكثر من أي شيء آخر، بل مصلحة الضرائب.

فمنذ سنتين يدفع «الوسطاء» الضريبة على القيمة المضافة، الأمر الذي يجعل العلماء قلقين من هذه الموجة التي «تشكل خطرا على تقدّم الإعلام العلمي»[1].

وفي عام ١٩٨٨ ألقت الشرطة الفرنسية القبض في مدن عديدة وخاصة في مدينة باريس على عدد كبير من النصابين والمحتالين من نوع «خاص»، كانوا

---

(١) راجع جريدة القبس في عددها (٤٧٧٤) بتاريخ ١٩٨٥/٨/٢٦.

يَدَّعون السحر والتنبؤ بالمستقبل والكتابة لابتزاز الأموال من زبائن بسطاء أو متعطشين لكلّ ماهو غريب وغير اعتيادي. وقد لوحظ أنّ نشاط هؤلاء المشعوذين لم يكن في يوم من الأيام مزدهرا كما هو عليه الآن مع العلم أنّ استغلال بساطة جزء كبير من الناس كان دوما على مرّ العصور مصدر كسب مادي وفير لعدد من المحتالين.

لكن الظاهرة التي كانت لسنوات خلت هامشية وبسيطة، باتت تكتسب اليوم أبعادا جديدة جعلت منها ظاهرة مقلقة وحملت السلطات الفرنسية على التدخل لوضع حد لانتشارها. هناك بالطبع البصارون والبصارات الذين تعرفهم جميع المجتمعات في كل بقاع الأرض، هؤلاء يكتفون بالادعاء بقدرتهم على قراءة الماضي والتنبؤ بالمستقبل ويكتفون بهذا القدر، نشاطهم علني وموسع، ويدفع الفرنسيون لهم كلّ سنة حوالي ثلاثين مليون فرنك بدلا عن خدماتهم وينظمون المهرجانات والمؤتمرات، وباتوا يستعملون الكمبيوتر والتقنيات الحديثة لذر الرماد في عيون زبائنهم.

وإلى جانب هؤلاء المبصرين «الرسميين» إذا صح التعبير، ترى اليوم في باريس وليون ومارسيلياولوهاتر وغيرها من المدن وحتى القرى الصغيرة النائية أنواعا جديدة من «السحرة» والوسطاء الروحيين الذين يَدَّعون القيام بالمعجزات كالعثور على شخص مفقود، أو إعادة المحبوب، أو جلب الثروة، أو التنبؤ بأرقام اليانصيب، وحتى الكتابة (كتابة الشر) للخصوم والأعداء والشفاء من الأمراض الخطيرة. لقاء هذه «الخدمات» يتقاضى هؤلاء السحرة والمشعوذون من زبائنهم مبالغ مالية تبلغ في بعض الأحيان حدودا خيالية ثمنا لخدمات خيالية لا تمت إلى الواقع بصلة.

وفي كثير من الأحيان ترى هؤلاء السحرة يختفون ويتبخرون ويفقد لهم كل أثر بعد أن يكونوا قد احتالوا على الناس وابتزوا أموالهم.

وتقدر إحصائيات الشرطة الفرنسية حاليا عدد السحرة والمبصّرين والمتاجرين بالبساطة الإنسانية بأكثر من ستين ألف شخص.

والأغرب من كلّ شيء هو أنّ السواد الأعظم من هؤلاء السحرة والمبصّرين والوسطاء الروحيين يعملون ويمارسون نشاطهم بشكل علني أو شبه علني، فقسم منهم يملك مكاتب أو عيادات معروفة، والقسم الآخر يجلب الزبائن إليه عبر إعلانات مبوبة في بعض الصحف والمجلات الهامشية أو المتخصصة في مجال العلوم غير الطبيعية.

يكفي أن يتصفح المرء هذه المجلات والجرائد ليلاحظ الإعلانات المبوبة التي تتحدث عن عجائب وغرائب قدرات هؤلاء الأشخاص السحرية وغير الاعتيادية، والتي ترافقها عناوينهم وأرقام هاتفهم. وقد لاحظت الشرطة الفرنسية ازدياد نوع خاص من هؤلاء السحرة في المدن الكبيرة، وهم السحرة الأفارقة الذين يطلقون على أنفسهم اسم «مارابوت». وجميعهم يدعي التخصص في مجال ما.

بعضهم متخصص في القضاء على سوء الطالع والنحس، وبعضهم الآخر متخصص في الكتابة، وقسم آخر متخصص في التنبؤ بأرقام اليانصيب الوطني أو العثور على المفقودين، أو في ضمان النجاح المهني والاجتماعي والعاطفي. هؤلاء يستقبلون زبائنهم عادة في غرف صغيرة تقع في الأحياء الشعبية من المدن الكبيرة ومعظمهم (كما تقول السلطات) دخل فرنسا بطريقة غير شرعية من دول أفريقيا السوداء خاصة من غينيا والسنغال.

وتذهب السلطات إلى حدّ التأكد إلى أنَّ هؤلاء الأفارقة شكلوا مافيا لرجال السحر والشعوذة تحافظ على مصالحها أحيانا بوسائل لا تمتُّ إلى السحر والعلوم غير الطبيعية بصلة. وقد اكتشفت الشرطة الفرنسية مؤخرا في مدينة (لوهافر) شبكة ضخمة من السحرة الأفارقة الذين كانوا يدَّعون أنهم مراسلو الأنبياء ويتمتعون بقدرات سحرية فائقة. والأدهى من كلِّ ذلك أنَّ الشرطة تجد نفسها عاجزة عن إثبات تهمة الاحتيال على هؤلاء السحرة، ويجد الزبائن الذين دفعوا أموالا طائلة لقاء «لا شيء» أنفسهم عاجزين عن تحصيل حقوقهم.

في القرون الوسطى، كانت السلطات تحرق السحرة أحيانا، أما اليوم، فإنَّ السلطات لا يمكنها أن توجه إليهم إلا تهمة الاحتيال والابتزاز، ولكن كيف السبيل إلى ذلك بغياب الأدلة المادية والحسية؟ كل ما بوسعها في كثير من الأحيان هو إيقاع المحتالين في فخّ الجرم المشهود، أو طردهم بسبب وجودهم غير الشرعي في الأراضي الفرنسية.

ومما يعقِّد الأمر ـ كثيرا ـ إيمان الزبائن الفرنسيين بقدرات السحرة والمشعوذين، ولا يكتشفون عملية النصب والاحتيال إلا متأخرين بعد فوات الأوان.

ولا يجب أن نعتقد أنَّ ضحايا هذا الاحتيال هم من الطبقات الشعبية البسيطة، فهناك عدد كبير من المثقفين وأرباب العمل الذين يقعون في فخ السحرة مثل (باتريك) ٣٩ سنة، وهو أحد الموظفين في احدى الشركات الباريسية الكبيرة الذي يقول: «يقال إنَّ مثل هذه الأمور لا تحصل إلا للغير ولكنها حصلت لي.

كان لدي رغبة كبيرة في أن يتحقق مشروع مهمّ بالنسبة لي داخل الشركة التي أعمل بها، وبالمصادفة تعرفت بواسطة أحد أصدقائي على شخص من احدى

الدول الافريقية السوداء الذي أثار دهشتي وإعجابي لكثرة معارفه وثقافته.

وبعد أن عقدت معه عدة جلسات «روحية» آمنت بقدرته، وسلمته أمانة مالية قيمتها ٧٥ ألف فرنك، وضعها أمامي في خزنة حديدية، وأكّد لي أنه سيعيدها إليَّ إذا لم يتحقق مشروعي. ولكنَّ مشروع باتريك لم يتحقق كما أنَّ هذا الساحر الكبير اختفى مع المبلغ الذي سُلِّم إليه أمانة.

إنَّه الاحتيال الصرف كما يقول أحد مفتشي الشرطة، فلا وثائق ثبوتية، ولا براهين، وبالتالي لا إمكانية قانونية على الإطلاق في ملاحقة المحتالين ومعاقبتهم. الحلُّ الوحيد يبدو في أن يخفف بعض الفرنسيين من إيمانهم الأعمى بالسحرة وأن ينظروا بواقعية أكثر إلى الأمور[1].

وفي جزر (هايتي) و(البرازيل) ينتشر نوع من السحر يسمى (الفودو)، وهو نوع من أنواع السحر الأسود، يقصد فيه السحرة استخدام الأرواح لتحقيق أهدافهم ومقاصدهم السيئة.

ويجتمع القائمون بهذا الأمر في احتفال راقص، ويزعمون أنَّ الروح تستولي على جسد امرأة، فتقوم تلك المرأة برقصة، وهذه الرقصة جزء من هذه الشعوذة التي يضحك فيها الشيطان على عقول البشر.

ويستخدم في (الفودو) الدمى ومشية الموت ليجلبوا المرض والموت إلى الشخص الذي يريدون أذيته، وخلال الترانيم السحرية يستخدمون الدم والمني والنباتات السامّة وبقايا الجثث الآدمية. ويلاحظ أنَّ ممارسي هذا النوع من السحر يصابون بنوع من الصرع، يتبعه دخول روح (أزرويل) في الشخص الذي يقوم

---

(١) راجع جريدة القبس الكويتية بتاريخ ١٩٨٨/٧/١٢.

بالرقص، ويزعمون أنَّ المرأة التي تدخل الروح جسدها لا تشعر بجسدها، ولكنها تشعر بوجود قوة تتجه لتفجير رأسها، وتبقى على هذه الحال لمدة ثلاث أو أربع ساعات إلى أن يحدث السحر.

ومن الضلال الذي يصاحب هذه الديانة الكفرية أنَّ المرأة التي تقوم بهذه الرقصات يسمح لها بالزواج من عدد من الرجال بقدر عدد الخواتم التي كانت تلبسها، كما أنه يجوز لها أن تقيم علاقات أخرى مع الرجال من غير زواج بالقدر الذي تراه.

وعند الانتهاء من الرقص تطلب الروح المرطبات أو المشروبات الكحولية، وتطلب نقلها على كرسي لتنام ثم تفارق بعد ذلك جسد المرأة[1].

ولاشك أنَّ هذه الروح التي تعبث بالبشر وتجعلهم لعبة في يدها إنما هي شيطان من الشياطين.

ويلاحظ المتابعون لأخبار الانتخابات في العالم الغربي أن المتنبئين والمتنبآت بالغيب ينشطون في فترة الانتخابات في التنبؤ فيمن يكون الرئيس المقبل، كما تكثر التنبؤات فيما سيكون عليه مستقبل البلاد في السنوات القادمة.

وقد نقلت لنا الصحافة خبر مأساة عظيمة وعجيبة، فقد انتحر في أمريكيا أكثر من ثمانمائة شخص، اتبعوا مهووسا يدعى (جون). وقد أمر هذا الضال أتباعه بالعزلة عن المجتمع، ليتطهروا ويمارسوا طقوسهم الخرافية الخاصة بهم، وعندما اتخذ زعيمهم قرار الموت الجماعي، تقدموا لملاقات الموت عن طواعية، وانتحروا جميعا، وقبل أن يُقْدموا على الموت ذبحوا أطفالهم وصغارهم.

---

(١) راجع ملحق جريدة الأنباء الكويتية: تاريخ ١٩٨٨/٦/٢٢.

وتنقل لنا وكالات الأنباء أنَّ كوريا جنوبيا دجالا اتبعه ملايين من البشر، وفاقت شعبيته شعبية أي رئيس جمهورية جلس على كرسي الحكم في الولايات المتحدة، وامتلك من وراء ذلك بلايين الدولارات، وقصورا بالغة الفخامة.

وأوضح دليل على العقلية الخرافية في العالم المعاصر تلك العين المرسومة على الدولار الأمريكي لدرء عين الحسود.

والذي يتابع أخبار السحرة والمشعوذين في بلادنا العربية والإسلامية يجد أن الأمر لا يقل سوءا عمّا يحدث في فرنسا وأمريكيا، وكان المفروض أن لا يجد السحرة لهم سوقا رائجة في ديار الإسلام التي يحرِّم دينها السحر ويعده احدى الموبقات الكبار.

وسأذكر للقارىء الكريم بعض ما نشر في الصحف والمجلات الكويتية عن السحر في دولة الكويت وحدها في فترة تتبعت فيها كثيرا مما كتب في هذا الموضوع.

نشرت جريدة القبس في عددها (٨ مارس ١٩٧٩) خبر إلقاء رجال المباحث على مشعوذة تقوم بأعمال السحر والشعوذة كانت تتقاضى مقابل الجلسة الواحدة مع مرضاها مبلغ (٢٠) دينارا.

وفي عدد القبس المنشور بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٧٩ خبر إدانة محكمة الجنح لمشعوذة تدعى «سكينة» بتهمة النصب والاحتيال، وممارسة السحر والشعوذة، وقد وجد عندها كمية من الخرز والحجارة والأحجار التي تمارس بها طقوسها السحرية، وكانت تحصل على (٤٥) إلى (٥٠) دينارا مقابل الجلسة الواحدة، ووجد أنها تمارس هذه الشعوذة منذ عشرين عاما.

ومن أغرب ما نشر خبر مشعوذ يدَّعي القدرة على علاج المرضى النفسانيين بأساليب غريبة، فقد ذكرت القبس بتاريخ ٢١ يناير ١٩٨٠ أنَّ مشعوذا يُدْعى

(عودا) كان يستقبل ضحاياه في خيمة بالصحراء، ويعالجهم بإدخال أسياخ حديدية في أجسامهم، بحيث يخترق السيخ الجسد حتى يظهر من الجهة الأخرى ولا يكتفي بهذا، بل يلجأ إلى ضرب المريض بالسيخ أو بالسيف، وقد ضبط رجال المباحث مع هذا الأفاك مبلغا من المال هو حصيلة دجله وشعوذته.

ونشرت جريدة القبس بتاريخ ١٨ يناير ١٩٨٠ أنّ رجال المباحث قبضوا على حارس يمارس السحر والشعوذة ويزعم أنه يصنع أحجبة تحبب المرأة إلى زوجها.

وفي عدد القبس (٢٧ يناير ١٩٨٠) خبر القبض في الجهراء على مشعوذة وابنها لممارستها السحر والشعوذة.

وفي عدد القبس (١١ يوليو ١٩٨٠) نبأ القبض على رجل يمارس السحر يبلغ من العمر (٩٠) عاما، وجد رجال المباحث عنده أوراقا وخرزا وودعا ورأس هدهد ورجل ذئب.

وتذكر القبس في عدد (١٦ يوليو ١٩٨٠) نبأ قبض رجال المباحث في محافظة العاصمة على امرأة تدعى فاطمة بتهمة ممارسة السحر، تصنع الحجاب الواحد بمبلغ (٥٠) دينارا. وتستعمل في سحرها دجاجة وكمية من السكر، وهي تطلب من المريض وضع قطعة السكر في مكان حساس ووضع الدجاجه تحت السرير.

وفي عدد القبس ٨ اكتوبر ١٩٨٠ نبأ القبض على مشعوذة تدعى (وبرية) تمتهن أعمال السحر.

ونشرت جريدة السياسة بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٨٠ نبأ راهبة سورية في الرميثية تداوي بالأدعية والطب العربي، وذكرت أن مواعيدها محجوزة لمدة سنتين.

وفي (٢٥ يوليو ١٩٧٩) نشرت جريدة القبس حديثا للسيد عبدالكريم جعفر مدير مكتب وزير الصحة في دولة الكويت يحذر فيه المرضى الكويتيين من مشعوذة يرحل إليها بعضهم للمداواة والعلاج، وهذه المشعوذة من الأردن تدعى (مدللة).

وقد ذكر مدير مكتب الوزير في حديثه أنه سافر بتكليف من وزير الصحة إلى الأردن وقضى فيها ستة أيام واطلع على شيء من الدجل الذي تقوم به تلك المشعوذة التي يأتيها المرضى من بلاد بعيدة ومنها الكويت. وذكر أنها تستقبل في كل يوم (٣٠) مريضا تقريبا، ولكنه لم يثبت أنَّ مريضا واحدا تم شفاؤه على يديها.

وذكرت جريدة القبس بتاريخ (٢ أغسطس ١٩٨٥) أنَّ نصابا باع امرأة وصفة خرافية بمبلغ (١٥٠٠) دينارا كويتيا، وكانت هذه المرأة عاقرا، وزعم هذا المشعوذ أنه قادر على جعلها تنجب، واكتشفت المرأة بعد فوات الأوان أنها دفعت مبلغا كبيرا في مقابل أوراق مسوَّدة بكلمات وحروف وبعض المواد الرخيصة التي لا تساوي دينارا واحدا.

وفي جريدة السياسة بتاريخ (١٢ مايو ٨٧) خبر مفاده أنَّ امرأة استطاعت أن تحصل من ثري على مبلغ (١٥٠) ألف دينار كويتي، يدعي هذا الثري أنَّ هذه المرأة سحرته، بعد أن أسقته شوربة دجاج، فأوقعته في حبها، فخطبها، ثمَّ طلبت منه مالا فوضع هذا المبلغ تحت تصرفها، ثم لم يرها بعد ذلك.

وفي جريدة القبس بتاريخ (٢١ فبراير ١٩٨٧) خبر عن دجال استطاع أن يجمع مبلغا كبيرا من المال من المقيمين والوافدين الذين يعانون من أمراض نفسية، وقد فرَّ بعد ذلك هاربا تاركا بين أيديهم أحجبة لا تسمن ولا تغني من جوع.

وقد نشرت جريدة السياسة بتاريخ (٢١ مايو ١٩٨٦) صورا لأحجبة لا تفهم كلماتها. وتحتوي على آيات قرآنية متداخلة، وتوسلات شركية.

وذكرت الجريدة أنَّ شبكة من المشعوذين في الكويت تُسّوق هذه الأحجبة والخزعبلات وأن الحجاب قد يبلغ (١٥٠٠) دينارا. وذكرت الجريدة أنَّ أفراد هذه الشبكة يتكاثرون في المناطق التي يسكنها البسطاء من الناس الذين يسهل خداعهم.

وهؤلاء المشعوذون يستخدمون في أداء طقوسهم السحرية أمورا كثيرة مثل الميدالية الملفوفة بخيط وهي ضد السحر، والخرزة لجلب الحظ وللمحبة، أو لجلب الرزق، أو للتفريق بين الزوجين، كما يستخدمون الفنجان وقراءة الكف وطق الطار، والبخور والودع وطاسة الخلاص، ويطلبون من زبائنهم مطالب غريبة، فقد يطلب الواحد منهم نعجة سوداء، أو خروفا أبيض، أو ذا قرون، وقد يطلبون ذبح ديك ودفنه في المقبرة.